مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية
Eissn :2600-643x Issn : 2353-0529
المجلد 12/ العدد:01 (2024)، ص: 57-100

مدى مناسبة طرق البحث في العلوم الإنسانية لشرح مسالك البشر المسبور

Suitability of Research Methods in Social Sciences to Explain Paths of Explored Humans' Behavior

الأستاذ الدكتور خالد بن رشيد العديم
قسم المحاسبة – كلية إدارة الأعمال
جامعة الملك سعود

تاريخ الاستلام: 2024/09/27 تاريخ القبول: 2024/01/05 تاريخ النشر: 2024/04/09

ملخص:

يتكون الإنسان بمُجْمله على الأقل من جسده وروحه وعقله، وليصل الإنسان إلى المعلوم عقلاً ابتكر مناهج لكشف المجهول. إنّ من المناهج التي طوّرها الإنسان مؤخرًا المنهاج التجريبي، ويُعزَى تطويره لعلماء البشر، ومنهم المسلمون؛ الذين لم ينكروا به مصادر المعلوم الأخرى. ففي حين أنه قد ناسب العلوم الطبيعية سَبْرًا، فإنه غير مناسب لفهم الإنسان مادةً وروحًا وعقلاً وفكرًا وسلوكًا. إن الإنسان قد خُلِقَ ومعه العلم والبيان، وله الاختيار، فمحاولة دراسة مسالكه بتجرُّد عن بواعثه ليس من التمام. إن الإنسان يسلك السلوك جسدًا وروحًا وفؤادًا وعقلاً.

إن العلوم الإنسانية المعنية بدراسة البشر وثقافتهم بينها تداخل لدراسة السلوك الاجتماعي البشري؛ فعزل الظاهرة الإنسانية التي يتداخل فيها ما هو ذاتي واجتماعي وثقافي، ودراستها دراسة موضوعية كما تُدرس الموضوعات الطبيعية في العلوم التجريبية محل نظر. إن مدعاة الترويج بتطبيق المنهاج التجريبي والفلسفة الوضعية في العلوم الإنسانية ليكون فلسفةً تنظيريةً

مدفوعٌ بتنظيم المجتمع الداهم متمثلاً بالرأسمالية، فهو ربيط الرأسمالية، فبتقديم الإنسان على أنه ركام من المادة به إعلاء شأن الغرائز الإنسانية والعواطف والأهواء البشرية. إنّ المادية عقيدة قديمة تفتقر إلى أيّ أساس علمي أو سند من نصٍّ وصلنا وحيًا، فهي ذريعة إنكار الخالق، فالظواهر في الحياة الاجتماعية معقَّدة لا تخضع للطريقة العلمية؛ كون الإنسان متمردًا على الدراسة والتحكم بسلوكياته والتنبؤ بها؛ لقدرته على تخطي ذاته المادية وعالم المادة، بل هي دين جديد رأى كونت فيه خلاص بشر أوروبا من سيطرة رهبانها ليكون قسيسهم. إن حاجة الإنسان للدين أصيلة مغروزة ومبطونة في خلد الإنسان، فرأي الفرد فيما يعتقد.

Abstract

A human being consists at least of his body, soul, and mind. For humans to reach the known rationally, they devised methods to uncover the unknown. One of the methods humans developed recently is empiricism. Their development is attributed to human scientists, including Muslims, who did not deny it, as well as other sources of knowledge. While it is suitable for natural sciences by sound, empiricism is unsuitable for understanding human matter, spirit, mind, thought, and behavior. A human being was created with knowledge and clarification and has choices, so trying to study his path without his motives is not complete. A human being behaves in body, soul, heart, and mind.

The human sciences concerned with the study of human beings and their culture include an overlap to study human social behavior. Isolating the human phenomenon in which what are self, social, and cultural overlaps and studying it objectively as natural subjects are studied in experimental sciences is under consideration. The

movement toward empiricism is justified by capitalism as a forced dogma on society. Under materialism, a human is depicted as a heap of matter with the exaltation of human instincts, emotions, and human whims; materialism is an old belief that lacks any scientific basis. It also lacks the support of an authentic revelation which some societies believe, chiefly Muslims. It is best can be understood as a pretext for denying the Creator. Phenomena in social life are complex and are not subject to the scientific method since a human is rebellious against studying, controlling his behavior, and predicting it because of his ability to transcend his material self and the materialism, universally defined. Believing in meta-physics is an undeniable need for humans. When true religion is not the Meta, then a sort of ideology replaces it. An individual shall check what substituted his religious part, particularly Muslims, as Quran and Sunnah have been verified over time.

Keywords: Human; Humanities; Positivism; Empiricism; Religion.

الإنسان: ذاك المجهول المسبور

يتكون الإنسان بمجمله على الأقل من جسده وروحه وعقله، فالجسد كُنْه الإنسان ومادّته، والروح شاغلة حيّز الجسد وهي حياته، والعقل ميزان الأمور، وبه إدراك المعلوم والكشف عن المجهول والغوائب عن العقول.

وقد بذل العلماء والأطباء البذل الجميل للتعرُّف على مادة الإنسان، ولا يزالون، فيدرك الإنسان علمًا ما يصلح، وفيه عمران جسده، وما فيه خرابه ودماره فهلاكه. فالسكر وإن كان حلوًا مذاقه فالإكثار منه مُقرِّب للداء، والملح وإن كان فضله على الطعام مشهودًا بحديث الرسول -صلى الله عليه مسلم-[1]، فإن كثرته مسببة عدم الاتزان بين الضغط من داخل كتلة الجسم والضاغط عليها من خارج البدن، فإن زاد الضاغط من الداخل اعتل الجسم، ولربما كان سبب مَنِيّته. ذِكْر السكر والملح على سبيل المثال، للتدليل على أن صحة البدن قامت وتقوم على الاتزان في الداخل إلى جوف الإنسان[2].

وفي الإيمانيات، وعلى رأسها إيمان الروح بمن خلقها وأوجد مادتها؛ استقرار لأمرها واعتداله، والنزوغ عنه اعتلاله. إنّ أمر استقرارها مرهون

1- جاء في الطب النبوي لابن القيم ما نصه:

"روى ابن ماجه في سننه -من حديث أنس، يرفعه-: «سيد إدامكم: الملح». وسيد الشيء هو: الذي يُصلِحه ويقوم عليه. وغالب الإدام إنما يصلح بالملح. وذكر البغوي في تفسيره عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-، مرفوعًا [حذفت حاشية]: «إن الله أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض: الحديد، والنار، والماء والملح». والموقوف أشبه.

الملح يُصلح أجسام الناس وأطعمتهم، ويصلح كل شيء يخالطه حتى الذهب والفضة. وذلك: أن فيه قوة تزيد الذهب صفرة، والفضة بياضًا، وفيه جلاء وتحليل، وإذهاب للرطوبات الغليظة وتنشيف لها، وتقوية للأبدان ومنع من عفونتها وفسادها، ونفع من الجرب المتقرح.

وإذا اكتحل به: قلع اللحم الزائد من العين، ومحق الصفرة. والاندراني أبلغ في ذلك، ويمنع القروح الخبيثة من الانتشار، ويحدر البراز. وإذا دلك به بطون أصحاب الاستسقاء: نفعهم. وينقي الأسنان، ويدفع عنها العفونة، ويشد اللثة ويقويها. ومنافعه كثيرة (جدًّا)".

وفي مسند البزار مرفوعًا: «يوشك أن تكونوا في الناس كالملح [حذفت حاشية] في الطعام، ولا يصلح الطعام إلا بالملح».

2- لابن القيم (1991) في كتابه الطب النبوي كلام في الحالات التي يتعرض لها جسد الإنسان، وفي الاتزان بينها صحة بدن الإنسان.

بتعلقها جزمًا يقينيًّا بالغيب؛ فالغيب جزء من المعلوم، وقد أغفله المنهاج التجريبي بنسختيه الأصيلة ـ والتي نعتها أرباب المنهاج الجديد بالساذجة. والمعدلة المسماة التجريبية المنطقية، والتي كانت نتاج اجتماعات دائرة فينس زهاء عقدين (العديم، 2020م)، حين سنّ عرّاب المنهاج الجديد وطريقته التي رأوها المثلى، وهي غير ذلك (العديم، تحت النشر1)، فأصل العيش في الدنيئة النكد، ﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ**﴾[3]، دعا استيعاب شيخ الإسلام الإمام أحمد بن حنبل هذه الحقيقة الجلية لمن أراد الله به خيرًا إلى القول عندما سُئِلَ: متى يرتاح العبد؟ فأجاب بأنه ينال راحته عند أول قدم يضعها في الجنة.

فما بين وجوده في الوجود وولوجه الجنان الحسان تَعَب وصخب وفتن وابتلاءات، لا يُعِين عليها إلا إيمانٌ بأنها دار غير خلود، وإيمان بالقضاء والقدر، وتسليم بالجزاء عند البعث وتزويج النفوس. وهذا كله يقف الدليل المادي عاجزًا عن الإتيان ببيانه (انظر العديم، تحت النشر 2)، فليس له إلا وحي، وأمر الروح وكل معلوق بها مجهول؛ إلا ما أخبر به مَن خلق لها مادتها،

[3]- سورة العلق آية 4.

فالأصل بأمره الجهل، ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً**﴾[4]، ختم الله السؤال عنها بالجهل جوابًا.

وعقل الإنسان مناط تكليفه في الشريعة الإسلامية؛ فمن رُزِقَ العقل تميَّز بقدرة على كنز المعلوم، بل وللبعض إنتاجه، وهم الخيرة منهم، ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾[5]، بل وعن الذين لا يعلمون مرفوعون بعلمهم، ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾[6].

وأجلّ المعلوم: الفِقْه في الدين، ففي الحديث قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**مَنْ يردِ الله به خيرًا يُفَقهه في الدين، وإنما أنا قاسمٌ، والله يُعطي، ولن تزال هذه الأمَّة قائمة على أمْرِ الله لا يَضُرُّهم مَنْ خالفَهُم حتى يأتي أمرُ الله**»[7].

يصل الإنسان للمعلوم عقلاً ونقلاً، فأما النقل فيُشترط سلامته، وهذا ليس له إلا أن يكون محفوظًا من لدن مَن أوحى به، ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[8]، ومن حِفْظه حِفْظ مُبيِّنته، وهي السُّنَّة، فأبان

---

[4]- سورة الإسراء: آية 85.
[5]- سورة الزمر: آية 9.
[6]- سورة المجادلة: آية 11.
[7]- رواه البخاري في صحيحه رقم (71).
[8]- سورة الحجر: آية 9.

القرآن الكريم هذين المصدرين للوحي في قوله تعالى: ﴿**وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا**﴾[9]، وقوله: ﴿**وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**﴾[10]، إن الحديث بنفسه حُجَّة (الألباني، 2005).

وليصل الإنسان إلى المعلوم عقلاً ابتكر مناهج لكشف المجهول، علمًا بأن هذه المناهج على اختلافها لا توجد المعلوم في الوجود، وإنما تكشف المستور عنه ليضحى له المعلوم بعد أن كان به جاهلاً، فقوانين الطبيعة موجودة منذ الأزل، والإنسان يشرح المشهود من الظاهر، وهذا جزء من معلومه، والقدرة على التنبؤ بمسالك الظواهر قمة المعلوم، فالحوادث الاجتماعية تحدث نتيجة قوانين وقواعد ثابتة (العبادي، 1992: 304)، أما أن يحدث مخالف السنن الكونية؛ فهذا ليس إلا للخالق علمه وتقديره، فباب المعجزات والكرامات وخوارق الأمور لمن خلق.

إنّ من المناهج التي طوَّرها الإنسان مؤخرًا المنهاج التجريبي، الذي به انقلب الأوروبي على كنيسته، يوم أن عجز الرهبان عن التدليل عن سبحات

---

[9]- سورة النساء: آية 113.

[10]- سورة النساء: آية 115.

فكر مضطرب، حكموا مجتمعاتهم هوًى باسم الرب، وسلّطوها على غيرها من المجتمعات توسيعًا لخيمة الجهل. ويُعزى تطويره لعلماء البشر، ومنهم المسلمون؛ الذين لم ينكروا به مصادر المعلوم الأخرى، فيثني Morgan (2007: 103) على الحسن بن الهيثم بتعريضه الفروض العلمية للسؤال ليتم إثباتها اختبارًا، فلا يأخذ الفروض العلمية على أنها مُسلَّمات أو من باب الإيمانيات.

إن المنهاج التجريبي وإن كان قد ناسب العلوم الطبيعية سبرًا، فازدهرت مجتمعات صناعيًّا وتقدمت حضاريًّا، فإنه غير مناسب لفهم الإنسان (الحمد، 1988) مادة وروحًا وعقلاً وفكرًا وسلوكًا، إلا إذا كان المراد التحول بالإنسان إلى آلة في المسلك، ليسهل تطويعه فيكون الأداة لوضع عقيدة الرأسمالية في المجتمع موضع التنفيذ.

يأتي هذا المقال ليؤكد على عدم مناسبة المنهاج التجريبي لسبر مسالك الإنسان دعمًا لكلّ مَن سبق في النظر في عدم مناسبة الطريقة العلمية في تفسير سلوك الإنسان (انظر على سبيل المثال المسيري، 2010؛ شاهين، 2019؛ مصطفى، 2016). إن عزل الإنسان عن علمه الموصول له بطرق عدة منها الوحي تشكيلاً لمستوى معرفي ميتافيزيقي (ما وراء الطبيعة/ ما وراء المشاهد المرصود) يؤتي معرفة ليست من التمام بمكان، فمادة

الإنسان ليست كمادة الطبيعيات، ففي حين أن الأخيرة تتأثَّر بالعوامل المحيطة بها؛ فإن الإنسان يتأثر بالعوامل الطبيعية/المادية، ولكن تأثيرها يتوقف على عوامل أخرى ليست بالضرورة مادية، كما أن إدراكه لمحيطه يساهم في تباين درجة تأثره بالعوامل المادية المؤثرة على سلوكه.

ففي حين أن الظواهر في الطبيعة محكومة بسُنَن، سنّها مَن خلق الطبيعة وأودع فيها نظامًا مُحكَم التطبيق؛ فإن الإنسان قد خُلِقَ ومعه العلم والبيان، وله الاختيار، فمحاولة دراسة مسالكه بتجرُّد عن بواعثه -على سبيل المثال- ليس من التمام؛ فالموضوعية وإن كانت ممكنة في دراسة الظواهر التي تتخذ من الطبيعة مسرحًا لها؛ فإن الإنسان يسلك السلوك جسدًا وروحًا وفؤادًا وعقلاً، الأمر الذي يُوجد تحديًا لأفراد دراسة مسالكه بموضوعية (انظر الفراك، 2017)، فالإنسان على غرار غيره مُدْرك لذاته، بل والكون من حوله (المسيري، 2012: 12)، بل إنّ الموضوعية في العلوم الطبيعية ضَرْب من الخيال (Al-Adeem، 2018؛ Gaukroger، 2012؛ Gillispie، 1960؛ Kerlinger، 1979؛ Novick، 1988؛ Daston and Galison، 1992).

قد ينطوي أفراد دراسة مسالك سلوك الإنسان على مباعدة الأمور نَشْدًا للتبسيط؛ الأمر الذي بلا شك يُقيِّد التعميم، فيكون المعلوم قابلاً

للانطباق على السلوك في حدود، وفي هذا تكبيل أرجحية التنبؤ، منشود السبر، وعليه يبقى سلوك الإنسان من الصعوبة بمكان، والتنبؤ به من أجل الغايات غير الممكنات، فلعل المنهاج المطبّق في بحث سلوكه جزء من الإشكال، بل هو الإشكال.

العلوم الإنسانية: المعنية بذاك المسبور

تعتني العلوم الإنسانية بدراسة البشر وثقافتهم (الغريب، 2021: 239-240)، وثمة تداخل بين العلوم الإنسانية لدراسة السلوك الاجتماعي البشري (الغريب، 2021: 249) وهو ما لا يمكن إقفاله عند دراسة الإنسان سلوكًا وإدراكًا.

يصنّف كونت العلوم بالترتيب التالي: ١) علم الرياضة، ٢) علم الفلك، ٣) علم الطبيعة، ٤) علم الكيمياء، ٥) علم الحياة، ٦) علم الاجتماع. إنّ "الظواهر التي يدرسها علم الاجتماع هي أشد الظواهر خصوصًا وأكثرها تركيبًا وأشدّها اهتمامًا بالأمور الحسية، وهي أكثرها أهمية من الوجهة الإنسانية المباشرة" (شاهين، 2019: 695).

وفي الدفاع التاريخي لهاتفيلد (Hatfield) (1924) . وهو أحد المنظرين الكلاسيكيين في المحاسبة . عن المحاسبة ومسك الدفاتر يفطن المهتم إلى علو

شأن العلوم الإنسانية، وعلى قمتها علم الاجتماع، فـ"يعتبر علم الاجتماع... أرقى العلوم في الفلسفة الوضعية، وهو قمة العلوم"(شاهين، 2019: 696-697)، ويجادل كونت (نقلاً عن شاهين، 2019: 694) بـ"قيمة وأهمية وصعوبة علم الاجتماع ...[في كونه] أعقد العلوم، ومن حيث اعتماده على كافة العلوم السابقة" في الرتبة من "الأعم والأبسط إلى الأخص والمركب، ومن أشدها تجريدًا نحو أكثرها التصاقًا بشؤون الإنسان" (شاهين، 2019: 694)، فصنّف كونت العلوم بناء على تدرجها في البساطة والتعميم على النحو التالي (شاهين، 2019: 684-685):

> "الرياضيات، فالفلك، فالطبيعة، فالكيمياء، فعلم الأحياء، فعلم الاجتماع، وكل واحد من هذه العلوم يرتكز على نتائج العلوم التي قبله، لذلك فقد كان علم الاجتماع رأس العلوم كلها وذُرْوتها، ولا تبرير لوجود العلوم الأخرى، إلا بمقدار ما تَمدُّنا به من توضيح وشرح لعلم الاجتماع. فنظر إلى العلوم على أنها إما عملية تطبيقية أو نظرية، أو أنها علوم وضعية ملموسة وأخرى مجردة؛ حيث تهتم الأولى بالظواهر الملموسة وتُعالجها، بينما الثانية تنشغل باكتشاف القوانين الطبيعية التي تحكم هذه الظواهر وتحدد وجودها وتتابعها، وتشكل العلوم النظرية المجردة سلسلة أو سُلمًا تعتمد فيه كلّ حلقة عليا على الحلقات التي تسبقها، وتحتل الرياضة قاعدة السُّلّم؛ لأنها تهتم بالجوانب المجردة لجميع الظواهر يليها في الترتيب الميكانيكا؛ والتي خلط كونت بينها وبين الفلك، ثم الفيزياء والكيمياء فالبيولوجيا، وفوق كل ذلك

يتربع العلم الجديد أو الفيزياء الاجتماعية أو علم الاجتماع؛ حيث يرى كونت أن العلم [أي معلوم البشر] [والذي يعني به كونت]...المعرفة اليقينية قد سار من موضوع إلى آخر على الترتيب السابق."

الطريقة العلمية للسبر وكشف المعلوم في العلوم الإنسانية

ساهمت الفتوح العلمية التي حققتها العلوم الطبيعية والفيزيائية في الكشف عن قوانين الظواهر الطبيعية في دفع الفلاسفة والباحثين إلى التفكير في إمكانية تطبيق الطريقة العلمية على العلوم المعنية بدراسة الإنسان (مصطفى 2016)، ما ينفكّ مفكرو وباحثو العلوم الإنسانية عن عزو اعتلالاتها إلى عدم اقترابها من العلوم الطبيعية بعدم تطبيق المنهج العلمي المعاصر (انظر الخولي، 2018، الفصل السادس)، وقد "روّضت العلوم... [الإنسانية] نفسها منذ قرون على النظر إلى العلوم الطبيعية على أنها نوع من الفردوس الذي لن يُتاح لها دخوله أبدًا..." (ليفي شرواس في الغذامي 1998: 6).

إنَّ الطريقة العلمية (scientific method) في السبر وسيلة من وسائل الكشف عن المعلوم؛ راكزةً دعواها على موضوعيتها (objective)

المدعاة (Sy and Tinker، 2005: 63 بأنّ تكميم السمات ومظاهر الظواهر في الحياة من الإمكان بمكان موضوعيًّا.

وقد استقر حال العلوم الطبيعية والإنسانية بعد غلبة المنهجية العليمة فيها على غيرها بأنّ "...لا علم بدون موضوعية، ولا منهج علمي بغير أُسُس من الموضوعية" (الحمد، 1988: 3)؛ مُوجدًا ارتباطًا بين مفهوم الموضوعية ومسألة علمية المنهاج (الحمد، 1988: 3)، فالموضوعية "قضية تأسيس المشروع العلمي من حيث تصوُّر طبيعته، وإمكانية قيامه، وطرق تحقيقه" (قنصوه، 2007: 7).

إلا أن الموضوعية محل نقد كثيرين (انظر على سبيل المثال الحمد، 1988؛ السديس 1420هـ؛ الفراك، 2017؛ Al-Adeem، 2018؛ Gaukroger، 2012؛ Gillispie، 1960؛ Kerlinger، 1979؛ Novick، 1988؛ Daston and Galison، 1992)، وتحققها في المسبور من العلوم الإنسانية غير مؤكد، فلا وقاية لها من الوقوع في شرك "الذاتية"؛ فالإنسان هو الذات الدارسة المكتظة بالخصوصية، وهو في ذات الأوان موضوع الدراسة غير المحايد (الفراك، 2017).

إن الطريقة العلمية تستظل بالفلسفة العلمية (scientific philosophy) والتي تُعرف أيضًا بـ"الوضعية" (positivism)، فتقوم الفلسفة

الوضعية على أنّ الظواهر في الوجود مستقلة (independent)، الأمر الذي . بناء على دعواهم . يُمكِّن من مشاهدتها ورَصْدها من غير اعتماد على معرفة وخبرة المشاهِد السابقة والمركومة، فـ"المسائل التي لا تقع تحت الملاحظة فهي خارجة عن دائرة العلم" (شاهين، 2019: 690).

ثم تطورت الفلسفة الوضعية وعُدِّلت لتكون منطقية، فكما ذكر مؤرخو الفلسفة أمثال كون (Kuhn) وستيفنسن (Stephen) من أنّ المعرفة السابقة المتكونة لدى الشخص ومفاهيمه المخزونة تشارك في تعليل وتجربة وتمحيص ما يزعمه الشخص بناءً على ما يراقبه فيرصده، وقد ساهمت الحركة المعروفة بحلقة أو دائرة فينا (Vienna Circle) والتي أسَّسها Moritz Schlick، التي اجتمعت زهاء أحد عشر عامًا كل يوم خميس للمناقشة في وسط جمع في عضويته فلاسفة وعلماء رياضيات وعلماء في العلوم[11] في تطوير الوضعية والتي عُرِفت لاحقًا بـ"الوضعية المنطقية" (logical positivism).

11-"In 1922, the physicist and philosopher Moritz Schlick was appointed professor of the philosophy of inductive science at the University of Vienna. Three years later he organized a Thursday evening discussion group of philosophically-minded mathematicians and scientists. Though its membership varied over time, the group met regularly for the next eleven years, and through the efforts of its members a new philosophy was born. The philosophy became known as logical positivism and the group took for itself the label, the Vienna Circle."

نادى كونت بتطبيق الفلسفة الوضعية على الظواهر في العلوم الطبيعية وفي العلوم الإنسانية؛ حيث "تبلورت هذه النزعة، في البداية، مع الفلسفة الوضعية... عن إمكانية قيام علوم إنسانية وضعية، تدرس المجتمع الإنساني وتفسِّره، وتُحلِّله تحليلاً وضعيًّا، بعيدًا عن الذاتية، واستنادًا إلى خطوات منهجية، تقوم على الملاحظة الخالصة والتجريب الدقيق" (مصطفى، 2016)[12].

تتناسب الطريقة العلمية عند كونت عندما تكون الحالة واقعية، وهي التي "يدرك العقل امتناع الحصول على معارف مطلقة، فيقصر همّه على [ال]تعرف [على] الظواهر واستكشاف قوانينها وترتيب القوانين من الخاص إلى العام فتحل هنا الملاحظة محل الخيال والاستدلال، ويُستعاض عن العلل بالقوانين، أي العلاقات المطردة بين الظواهر" (شاهين، 2019: 690)؛ حيث قسّم المناهج إلى "منهج التفكير اللاهوتي الأسطوري، ومنهج التفكير الميتافيزيقي الخيالي، ومنهج التفكير الوضعي العلمي" (شاهين، 2019: 687).

ثم "قام كونت بوضع النظريات العامة، ثم حاول أن يفسّر على ضوئها حقائق الاجتماع. وذهب كونت إلى أن علم الاجتماع يدرس الظواهر

[12]- متاح على الرابط (آخر زيارة 2022/11/1م): https://cutt.us/Tlzmi

الاجتماعية في حالة ثباتها وتطورها؛ أي في حاله توازنها وتغيرها، وهو ما أطلق عليه الاستقرار الاجتماعي أو (الاستاتيكا الاجتماعية)، والحركة أو التغيير الاجتماعي (الديناميكا الاجتماعية)، وهو لم يذهب إلى وجود علمين مستقلين؛ أحدهما يدرس الاستقرار والآخر يدرس الحركة الاجتماعية، وإنما جعلهما موضوعًا متوحدًا لعلم الاجتماع، وهو عدم إمكان الفصل بينهما إلا على المستوى التحليلي لغرض الدراسة؛ حيث نفترض الثبات في الحالة الأولى والتطور في الحالة الثانية مع أن المجتمع في تطور مستمر"(شاهين، 2019: 696-697).

وعليه فـ"الفكر الغربي يقيم منهجًا علميًّا... يجعل من المنطلق المادي أساسًا ويسوي بين الإنسان والجماد والحيوان في الخضوع لمنهج واحد؛ فإذا تجاوز عن ذلك أخضع العواطف والمشاعر والعوامل الروحية والدينية والنفسية إلى التفسير المادي الخالص" (شاهين، 2019: 708). لكن "هل يمكننا عزل الظاهرة الإنسانية التي يتداخل فيها ما هو نفسي واجتماعي وثقافي، ودراستها دراسة موضوعية كما ندرس الموضوعات الطبيعية في العلوم التجريبية؟ هل يمكن أن يكون الإنسان وما صدر عنه من أفعال وسلوكيات وتصرفات موضوعًا لدراسة علمية، مع العلم بأن منتج هذه

الأفعال الذي هو الإنسان يكون دارسًا وموضوعًا للدراسة؟" (مصطفى، 2016).

وبهذا "... استأصل المذهب الواقعي فكرة المطلق، وأراد أن يقضي على اللاهوت والميتافيزيقيا على السواء، ويحل محلهما الواقعية التي لا تعترف بيقين للمعرفة إلا إذا كانت آتية عن طريق التجربة، وهذا المنطق يؤدي حتمًا إلى أن ما وراء الطبيعة والمعرفة الآتية عنه ليس لها صفة اليقين. وعلى هذا الأساس يكون الدين الذي هو وحي من كائن وراء الطبيعة ليس له صفة اليقين" (شاهين، 2019: 693).

استشكال الطريقة العلمية على أهل الإيمان

تبين للحمد (1988: 5) الوشيجة بين الرأسمالية والدعوة للمنهاج التجريبي في العلوم الإنسانية، فبعد أن تم تسليطه على العلوم الطبيعية ران في العلوم الإنسانية، فهو فلسفةٌ تنظيريةٌ لتنظيم المجتمع الداهم متمثلاً بالرأسمالية (الحمد، 1988: 5)، حتى إن النصرانية تقهقرت أمام الرأسمالية عقيدةً ومنهاجًا (Tinker، 2004)، وليس ثمة مانع للتمييع الثقافي والانصهار الحضاري خلا الإسلام (Barnet and Cavanagh، 1996)، فهو أمل البشرية لحريتهم من الاستعباد الاقتصادي والانسحاق في رحاها؛ كون الإسلام تشريع

من الشمول بمكان ليكون مشروعًا نهضويًّا صالحًا لكل زمان ومكان، من غير مسيس حاجةٍ إلى عصرنته (العديم، تحت النشر 1).

ولترويج دعوته للفلسفة الوضعية؛ نادى كونت إلى تقدم السلطة الاجتماعية مُرَكِّزةً على العلم؛ الذي هو في جوهره دين الإنسانية الجديد (*الموسوعة العربية العالمية*، المجلد 17، 1999: 478)، فقدمه على أنه ديانة الإنسانية، ماسخًا بها ديانة المسيح، ومُنَصِّبًا نفسه قسّها الأعظم، مُؤسِّسًا لها على المحبة مبدأً، والنظام أُسًّا، والتقدم غايةً (شاهين، 2019: 703)، فأسقط كونت الميتافيزيقيا ومن قبلها هدم اللاهوت مبشرًا بفلسفة عليمة (قنصوه، 1981: 16).

إن مركوز دعوة كونت هي "القضاء على الطريقة الدينية الميتافيزيقية في التفكير وتفسير الظواهر الاجتماعية" بإخضاع "الظواهر...[لـ] لقوانين عامة لا حسب الأهواء والمصادفات.... [فـ] يتعرف الناس على هذه القوانين من خلال كشف الباحثين عنها، وتعريف الناس بها... [موجبًا] دراسة الظواهر الاجتماعية دراسة وضعية منظمة" (شاهين، 2019: 696)، ويؤكد شابرا (1996: 47-51) أن النهضة العلمية التي أطاحت بالكنيسة خلفها إرثٌ يقيم المعلوم على ما قام عليه الدليل المادي والمحسوس، فانتقلت الفلسفة المادية التي قام عليها المنهاج التجريبي إلى العلوم الاجتماعية مُسقطةً كلّ مصدر

للمعلوم غير مدعوم بمحسوس دليلٍ ماديٍّ، فلا قائمة لمعلوم لما وراء الطبيعة، الأمر الذي جعل من تفسير الظواهر الاجتماعية ومسالك البشر تفسيرًا مشابهًا لتفسير الظواهر في الفيزياء (شابرا، 1996). إن التوجه لتطبيق المنهاج التجريبي على العلوم الإنسانية مدفوعٌ برغبةٍ عارمة في تعميق مفهوم أن الإنسان مثل الظواهر الطبيعية، يسلك المسالك من غير إرادة، وإنما مجبور على اختياره في مسلك دون آخر كنتيجة حتمية لعوامل كانت حاضرة لتتشكّل منها الظاهرة.

فمن المعلوم أن الفلسفة الوضعية قائمة على وجود "حقيقة مستقلة" غير معتمدة على الرأي أو القيمة (value-laden) مما يمكّن الوصول لها موضوعيًّا. وعليه يدفع دعاة المنهج التجريبي إلى واقعيتهم وعصرنتهم، فهذا حنفي (1987: 18) يلهج بقوله: "... المحافظون يختارون المثالية، والتقدميون يختارون الواقعية". فمن يحكّم الواقع وينادي بالبراغماتية مذهبًا فعليه أن يرضى بالواقع وتقلُّباته، فإذا ما حكّم الإنسان الواقع وسايَره غير مكترثٍ بالقيم والمثاليات التي تمليها عليه الإيمانيات؛ فعليه أن يرضى بالواقع إذا تغير وجرى على نحوٍ لا يُرضيه، وليس له أن يقول من المفترض أو المفروض، أن ضيّع حقه بالاحتجاج بالمثاليات والقيم يوم استحكم وحكّم الواقع. وحريٌّ بمن كانت مصادر منظومة قيمه تشريعًا تعهَّد

مَن خلقه أنه حَافِظه؛ أن يُحكِّم المحفوظ له، فهو خيرٌ له ولمعاشه، ولو كان تشريع غيره قد حُفِظ له؛ لَمَا وَسعه العدول عنه يوم عرفه، فغدا معنى الحروف محققًا مراد هوًى أو اجتهاد قاذف به مُليم، فأربك الحياة المادية تطبيقه، فخرج عليه إلى مراد مجتهد آخر، رام الخلاص لمجتمعه يوم ابتدعه، فالمجتمع في كلتا حالتيه محكوم باجتهاد ومقذوف إنسان إما تحريفًا للنصِّ، أو انقلابًا على النصِّ، والنصُّ فيه شفاءٌ لو تُرِكَ من غير تعطيلٍ ولا تحريفٍ وتأويلٍ، بل بحسن تطبيقٍ.

وعليه تجد المؤمن يتمسك بالطريقة العليمة ويجعلها مذهبه، ولا يقيم إيمانه على مبدأ سموًّا به للوقوف على السنن حاكمة الأمر كله، فحدود معلومه مقصور على ما قام الدليل عليه فأسنده، منتقلاً منه إلى غيره لو أن كشفًا آخرًا فنَّد سالفه، وقد يكون هذا مناسبًا لكشف الماديات التي هي في الواقع حواضر، والتي من طرق الوصول إليها المحسوس.

أما من ذوات المستوى العالي إدراكًا فهي خارج نطاق المذهب الوضعي؛ حيث إن كشف المعلوم اتباعًا للمنهاج الوضعي يكون للعوالم دون اللاهوت والكهنوت، فالكشوف للمنهج الوضعي اتباعًا محصورة في عوالم المحسوسات من الماديات (Moritz Schilck كما ورد في Caldwell، 1994،

الفصل الثاني؛ انظر أيضًا الجابري، 2012)، فمنصوص تعريف قاموس ويبستر (*Webster's* dictionary) (1991: 918) للمنهاج الوضعي على أنه:

> "نظرية تقوم على أنّ علم اللاهوت أو التوحيد وما وراء الطبيعة أو الغيب عبارة عن أنماط قديمة وغير مثالية من أنماط للمعرفة، وأن المعرفة الوضعية مبنية على الظواهر الطبيعية وخصائصها وعلاقاتها التي تم التحقق منها وإثباتها بالعلوم التجريبية".

> "A theory that theology and metaphysics are imperfect earlier modes of knowledge and that positive knowledge is based on natural phenomena and their properties and relations as verified by the empirical sciences."

ويبيّن يحيى (Yahya [2001، 2001])، ترجمة بايبارا، تاريخ النشر غير معلوم) أن:

> " الفلسفة المادية -التي لا تقبل وجود شيء سوى المادة، و...[تفترض] مقدمًا أن الإنسان "كومة من المادة"- تؤكد أنه ليس سوى حيوان، يشكل "الصراع" القاعدة الوحيدة لوجوده، وبالرغم من الترويج لها بوصفها نظرية حديثة تقوم على العلم، فإن المادية في الحقيقة ليست سوى عقيدة قديمة تفتقر إلى أي

أساس علمي. فهذه العقيدة -التي تم اعتناقها في اليونان القديمة- قد أعاد اكتشافها الفلاسفة الملحدون في القرن الثامن عشر. وبعد ذلك تم غرسها في القرن التاسع عشر في فروع علمية عديدة بواسطة مفكرين مثل كارل ماركس Karl Marx، وتشارلز داروين Charles Darwin ، وسيجموند فرويدSigmund Freud، وبعبارة أخرى، فقد تم تشويه العلم ليفسح المجال للفلسفة المادية".

إنّ المادية سبيل إنكار الله (شابرا، 1996: 51)، فنظرية التطور بديل الخالق (عبد الحافظ، 2019) الذي أنكره المنقلبون على الكنيسة محدثو العدم في النشوء والخلق (عقوب العديم، 2022 كما تمت الإشارة إليه في العديم، تحت النشر2)، فـ"حاول [المفكرون الاجتماعيون] أن يستخلصوا أسس الاجتماع الإنساني من مبادئ تنازع البقاء وصراع الأجناس وبقاء الأصلح وما إليها" (شاهين، 2019: 297).

إذن الفلسفة الوضعية مشابهة لـ"استغلال الإنسان للطبيعة، وعلم الاجتماع... يكشف... عن وسائل التقدم... [و] الفلسفة ... الوضعية في... [غنى] عن التفسيرات اللاهوتية والميتافيزيقية...[فـ] تعترف باستحالة التدليل على وجودها" (شاهين، 2019: 692)، تُشيع الصهيونية "النظرية الوضعية باعتبارها تُعلي من شأن الإنسانية وتهتم بها، ثم يكون تركيزهم في الإعلاء من

شأن الغرائز الإنسانية والعواطف والأهواء البشرية. وهو ما يخالف أصل النظرية تمامًا. وما كانت تدعو إليه من تمجيد للعقل وتحقير للجنس، والغرائز والعواطف" (شاهين، 2019: 704).

إن الإنسان في مسيس الحاجة إلى علم الغيب الذي وصل نصّه وحيًا، ليستقر فكره ويكتمل له بناؤه المعرفي (العديم، مقبول للنشر 1)، فالروح أحد مكونات الإنسان في مسيس الحاجة إلى ما فيها صلاحها والإبقاء على مادتها، وحيث إن معلوم الإنسان عنها في حكم المجهول، فالمستقر عند المسلمين الجهل بها، ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً**﴾[13]، فختم السؤال عنها بقلة علم البشر بها، فاستأثر الله سبحانه العلم بها، وإن كان من جهابذة علماء سلف الأُمّة مَن كتب فيها على سبيل المثال كتاب ***الروح*** لابن القيّم، إلا أنه يَسيرُ عِلْمٍ منسوب للمجهول عنها، فالاعتماد على المذهب الموضعي قد لا يُوصِّل إلى جميع العموميات التي عليها سائر الكون، والطبيعة محكومة، والإنسان بها سالك.

[13]- سورة الإسراء آية 85.

نقد توظيف المنهاج التجريبي في العلوم الإنسانية

إن "من الطبيعي أن تكون ظاهرة الحياة الاجتماعية المعقدة آخر ما يخضع ويستسلم للطريقة العلمية" (شاهين، 2019: 684-685)، فـ"الإنسان عَصِيٌّ على الدراسة والتحكم بسلوكياته والتنبؤ بها" (مصطفى، 2016)؛ لقدرته "على تجاوز ذاته الطبيعية/المادية وعالم الطبيعة/المادة، وهو عاقل قادر على استخدام عقله، ولذا فهو قادر على إعادة صياغة ذاته وبيئته حسب رؤيته" (المسيري، 2010: 12).

فـ"الظاهرة الطبيعية بسيطة يمكن ضبطها وعزلها وقياسها، أما الظاهرة الاجتماعية فهي معقدة، ولا يمكن ضبطها أو التحكم فيها" (شاهين، 2019: 698-699)، ولعلَّ الأمر الذي أدى إلى ابتداع شبيهة التجربة Quasi-experiment في العلوم الإنسانية، وقد وردت هذه المفردة في عنوانين كتب يتعلم منها طلاب العلم السبر في العلوم الإنسانية (على سبيل المثال Shadish et al، 2002).

ادّعى البعض أن العلم التجريبي هو الوسيلة الوحيدة لتكوين هذه الحقائق. وإنّ الادعاء بأنّ العلم التجريبي هو النهج المنفرد لإنشاء الحقائق مُناقِض لنفسه ذاتيًّا؛ كون هذه الجملة غير قابلة للإثبات علميًّا (مقال رقم

99، مركز سلف للبحوث، 2017)[14]، بل منهم من أنكر ما وراء الطبيعة/الميتافيزيقيا (علي، 1993: 22)، وعدّها خرافة (محمود، 1953)[15]، فإنكار Moritz Schilck لما وراء الطبيعة (metaphysics) أو عدم جدوى العلم بها (Caldwell، 1994، الفصل الثاني) لا يخرجها من المعلوم ومسيس حاجة الإنسان للعلم بها (العديم، مقبول للنشر 2)، بل ينمّ عن عجز المنهاج الوضعي في لمِّ المعلوم، فـ"لما كانت التجربة محدودة دائمًا فستظل دائمًا كثير من الظواهر خارج علومنا" (شاهين، 2019: 691).

إن الفلسفة الوضعية والوضعية المنطقية لإنتاج المعرفة؛ والمنهاج التجريبي في تمحيص الادعاء العلمي لا يؤهلان ألبتة إلى اعتلاء مستويات المعرفة العانية بما وراء الطبيعة (العديم، تحت النشر 2)، وهذا دليل القصور.

كما أن العلم الطبيعي مبنيٌّ أيضًا على بعض افتراضات مفادها أنّ قوانين الطبيعة كانت نفسها في الماضي السحيق (مقال رقم 99، مركز سلف للبحوث، 2017)[16]. إنّ الوضعية والوضعية المنطقية "خرافة" (علي،

---

[14]- متاح على الرابط (آخر زيارة 2023/5/27): https://salafcenter.org/1495/

[15]- تناول أحمد (1982) أزمة فكر زكي مجيب محمود.

[16]- متاح على الرابط (آخر زيارة 2023/5/27): https://salafcenter.org/1495/

1993)، ونزعة غير عقلانية (يفوت، 1982 كما ورد في ماضي، 1987: 185). وإنما أضفيت عليها العلمية وصمًا ولتجنبيها النقد (علي، 1993).

حاجة الباحث للدين باقية

يقر كونت أن "الدين يمثل من الجانب السياسي الأساس الذي تقوم عليه سلطة الكهنة والملوك؛ حيث يستمدون سلطاتهم لدى الجماعة من الدين الذي تدين به الجماعة" (شاهين، 2019: 686)، وينتهي في تحليله إلى "أن العالم لا يمكن خلاصه وانتشاله إلا بدين جديد يُغذِّي قلوب الناس محبة الغير الواهنة، ويقويها بتمجيد الإنسانية واتخاذها دينًا جديدًا وموضوعًا للعبادة، وقد أمضى كونت أيام كهولته في ابتكار نظام معقَّد من القساوسة والطقوس الدينية والصلوات لهذا الدين الجديد، دين الإنسانية واقترح تقويمًا جديدًا استبدل فيه أسماء الآلهة الوثنية وقديسي العصور الوسطي بأبطال الرقي والتقدم الإنسان" (شاهين، 2019: 686).

إنّ " العِلْمَ ديانةٌ معاصرةٌ تلعب دورًا كما لعبت النصرانية دورها في أوروبا في وقت سابق. إن الاختيار بين النظريات العلمية ما هو في نهاية المطاف إلا اختيار تُحدِّده قِيَم غير موضوعية للأشخاص وأمانيهم" (Feyeradend في Chalmers، 1999 :xxi- xxii)، فالفلسفة الوضعية أحادية

المنهاج، لا تسمح لغيرها أن يكون مناكفًا لها (علي، 1993: 23)، فليس غريبًا إذن أن يَصِف شريف (2018: 15) المنهج الوضعي المنطقي بـ"الأكثر تطرفًا في النظرة المادية"، فالمجتمعات التي أُريد لها حرية الفكر من غير مُهَيْمِن عليها فكريًّا غدت كما كانت باختلاف المعتقد (Feyeradend، 2018؛ انظر أيضًا Feyeradend، 2010، فييرابند [Feyeradend]، 1438هـ).

إنَّ مِن المستفاد من إحلال الفلسفة الوضعية محل الدين دليل على حاجة الإنسان لما يَعْقد عليه إيمانه، وبه يقوم صُلْب معتقده، فالعلم ليس بانعزال من الميتافيزيقية أو الأيديولوجية، فقد يقوم على أسس هي من الحيدة براء، الأمر الذي قد يُخِلّ بالموضوعية المدعاة (أمين، 2014: 7)، بل وقد يكون الانتقال من أيديولوجية إلى أخرى مبناه على الملاءمة للحالة التي بها المجتمع وليس بالضرورة الفاعلية والقدرة على تقديم الشروح (أمين، 2014: 8).

ثمة دور للمنهج العقدي في توسيع معرفة الإنسان وفي شموليتها (عساف، 2012)، فالحاجة للدين مسيسة، فـ"الدين لا يموت لأنه غريزة أصيلة كامنة في الإنسان" (شاهين، 2019: 707)، نكص الجانب الأخلاقي في سبر المعلوم لتراجع مساهمة الدين في بناء العلم والكشف العلمي (شابرا، 1996: 48)، فـ"العلم فاعلية إنسانية ومؤسسة ثقافية أو اجتماعية لها

نوعية الخاصة" (قنصوه، 1981: هـ). إن العالِم والمفكّر غير المدرك والمُلِمّ بأعماق الأسس التي ينشأ عليها بناؤه الفكري لا يدري مدى علو البناء الذي هو بانيه (قنصوه، 1981: 8).

بعد تحليلها للفلسفة الوضعية عقيدة المعاصرين الزاعمين قدرة العقول على السبر والبحث لإيجاد كل معلوم، وبعد نقدها كونت من كل حَدْب وصوب؛ تخلص شاهين (2019: 707) إلى أنه "إذا كانت الفلسفة الوضعية تنكر عالم الغيب كله، وتقف عند عالم الظاهر المحسوس؛ فهي مما لا يمكن تقبله في العالم الإسلامي؛ ذلك أن الإسلام ينبني على اليقين الكامن في وجود عالم الغيب والشهادة وما يحتويها ويقوم عليهما، وهو مفهوم الألوهية والوحي والنبوة والرسالة واليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب، ومن هنا فالدين الإسلامي تقوم فيه الحياة بالدين، ويترتب على الحياة الإنسانية وجود آخر له قيمة أعلى يعمل الإنسان على تحقيقها ونيل شرفها، وهي الفوز بالنعيم في الآخرة، فالفكرة الإسلامية تختلف تمامًا مع النظرية الوضعية وتتنافى معها تمامًا".

إن الباحثين سواء من أبناء الأمة (الحمد، 1988؛ العديم، تحت النشر 1، تحت النشر 2؛ السديس، 1420هـ) وأبناء أمم أخرى (Fraasse،

1980)[17]، Nemth، 1978؛ فييرابند [Feyeradend] 1438هـ) قد خلصوا إلى تحيّز المنهاج الوضعي وأنّ موضوعيته مزعزعة.

فالحاجة للدين مسيسة، فإن وُجِد ذاك الدين الذي من الشمول بمكان أن جمع بين سُمُوّ النفس روحانيًّا وبين حاجتها للتمام المادي كان فيه قضاء الحاجة، وليس ثمة حاجة لاختراع دين جديد، "حتى أتباع الديانات الكبرى، اعتنق كلّ منهم مذهب اليهودية المذهب المادي، بينما اعتنق أتباع الديانة النصرانية المذهب الروحي. وظل الجميع في تخبُّط إلى أن جاء الإسلام فكشف عن وجه الحق في هذه القضية" (شاهين، 2019: 651)، وقد وَسِعَ مارتن لوثر أن يقتبس "من المفاهيم والتصورات الإسلامية ما تشهد به الدراسات الجادة" غير معتنق بالإسلام ولا قائد حركة علمانية ولا إلحاد (كشك، 1990: 4).

تفويت تمام الإدراك: القلب على سبيل المثال

أخبر القرآن في آيات كثيرة عن وعي القلب، بل وقرنه بالحواس التي هي من الوصول إلى المعلوم، فقال الله -سبحانه-: ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ**

[17]- لمن أراد القراءة في المنهج التجريبي والوضعي والوضعي المنطقي؛ يمكنه الاطلاع على العديم (2020)، الدمنهوري (2012)، خليف (1997)، نجيب (1956).

فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[18]، وأخبر -عزّ وجل-: **﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾**[19]، **﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾**[20]، وقال أحس القائلين: **﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾**[21]، وقال سبحانه:

﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[22]، يقرن الله في الآية الأخيرة ختم القلب بختم الإدراك بالحواس، والحواس من مصادر المعلوم في المنهاج التجريبي وتحت مظلة الفلسفة الوضعية، والإضافة بحرف الواو تقتضي المساواة، فالختم بالقلب فيه ختم إدراك.

ومن السُّنَّة المُطهّرة عن النعمان بن بشير -رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «ألا وإن في الجسد مضغة

---

[18]- سورة الحج: آية 46.
[19]- سورة الأعراف: آية 179.
[20]- سورة محمد: آية .24
[21]- سورة الروم: آية 59.
[22]- سورة البقرة: آية 7.

إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله؛ ألا وهي القلب»[23]، فبعض القلوب منغلقة تجد الفتن لواذًا فيها، في حين أن الصالح منها يلفظها فلا يَتشرّبها ولا يستشربها، قالَ حُذَيْفَةُ بن اليمان -رضي الله عنهما-: سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ- يقولُ: «تُعْرَضُ الفِتَنُ علَى القُلُوبِ كالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فأيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَها، نُكِتَ فيه نُكْتَةٌ سَوْداءُ، وأَيُّ قَلْبٍ أنْكَرَها، نُكِتَ فيه نُكْتَةٌ بَيْضاءُ، حتَّى تَصِيرَ علَى قَلْبَيْنِ؛ علَى أبْيَضَ مِثْلِ الصَّفا فلا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ ما دامَتِ السَّمَواتُ والأرْضُ، والآخَرُ أسْوَدُ مُرْبادًّا كالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، ولا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إلَّا ما أُشْرِبَ مِن هَواهُ"[24]، ومن المعلوم أن طبّ القلوب تُرِكَ للرسول -صلوات الله عليهم وسلّم- (ابن القيم، 1991).

في حين أن ثمة إدراك محله القلب يوصل منه وبه إلى المعلوم؛ فإن الفلسفة الوضعية لا تُولِه بالاً؛ فتقصر المعلوم على ما وُصِلَ به حسًّا، مفوتًا مصدر علم، فعندما يصل الإنسان إلى أن القلب مكان إدراك يصل به الإنسان إلى المعلوم فإن نظرية المعرفة وفلسفتها التي تستظل بها ستُعَادان صياغةً، إلا إذا أُنكِرَ المُدرَك كما واجه عِلْم ما بعد الطبيعية بالنكران.

---

[23]- متفق عليه، رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه (1/ 28) حديث رقم (52)، ومسلم في كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات (3/ 1219) حديث رقم (1599)، المعلومات متاحة على الرابط: https://cutt.us/gFY77

[24]- صحيح مسلم رقم (144).

وصية في الاتزان في الوصول للمعلوم حسًّا وعقلاً ونقلاً

يصل الإنسان للمعلوم حسًّا وعقلاً ونقلاً؛ فأما النقل فيُشتَرط سلامته، وهذا ليس له إلا أن يكون محفوظًا من لَدُن مَن أوحى به، ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾، ومِن حِفْظه حِفْظُ مُبَيِّنته، وهي السُّنَّة، فأبان القرآن الكريم هذين المصدرين للوحي في قوله تعالى: ﴿**وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا**﴾، ولتأكيد مصدرية السنة النبوية وحيًا نزل في مُحكم التنزيل قوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا** ﴾.

ومن حفظ السُّنَّة ما هدى الله أُمّة الإسلام من العلوم على سبيل المثال: علم الجرح والتعديل، وعلم الرجال؛ لحفظ موروث نبيها -صلى الله عليه وسلّم-، فجميع ما يُعزَى لنبيها يتم إخضاعه لصرامة الاختبار سندًا ومتنًا (انظر العديم، مقبول للنشر 1).

والعقل مصدر علم، فالمنطق أداة تمحيص الادعاء، ولا يخشاه مَن كان على الحق ظاهرًا، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -قدَّس الله سره- في المنطق (وقد أُفرد كتابًا في مجموع فتاواه: انظر المجلد التاسع): "لكن الهدى

والعلم والبيان في فلاسفة المسلمين ومتكلميهم أعظم منه في أهل الكتابين؛ لما في تينك الملتين من الفساد" (ابن تيمية، طبعة 2005: 16)[25]، ويردف القول عبد العظيم (2009: 22)[26] القول بأنّ ""المنطق"... ميزان العلوم، و..."الفلسفة"... عبارة عن معرفة حقائق الأشياء، وليس فيها ما ينافي الشرع المبين، والدّين المتين غير المسائل اليسيرة التي أوردها صاحب "التهافت""، كما أن التعارض المزعوم بين العقل والنقل قد تم درؤه بكتاب شيخ الإسلام الذي جاء في أحد عشر مجلدًا ومقدمة؛ تجليةً لأي مُتوهِّم بتعارضٍ قد ينشأ.

وحواسّ الإنسان طريق لكشف المعلوم، فيها رصَد المشاهد مما ظهر له أنه مسلكٌ منتظمٌ، يثير فضول طالب علم كشف سبب أو أسباب المسلوك من السلوك، لعل بكشفه يتنبأ بمسلك الظاهرة محل السبر فيساهم مكشوفه بتوجيهها التوجيه المروم، "إن العلم بقوانين الظواهر يسمح بإيجاد الظواهر، بل إن الرغبة في هذا الإيجاد سبب يجعلنا ننتقل إلى هذه الحالة "العلم لأجل التوقع وبقصد التدبير"" (شاهين، 2019: 692).

وهذا المنهج المُكمّل خيرٌ من الركون إلى مصدر وحيد للمعلوم، وخير من التأثُّر بكونت الذي تأثَّر بما مر به من ظروف وبالأشخاص الذين أثروا

---

[25]- لمزيد سبر منهج ابن تيمة المعرفي ينظر في الدعجاني (2020).

[26]- نقلاً من مقدمة الطبع لأبي القاسم عبد العظيم، محققًا ومعلقًا على كتاب فضل علم السلف على علم الخلف، للإمام العلامة الحافظ ابن رجب الحنبلي البغدادي.

بحياته الشخصية على سبيل المثال مدام دي فو، بالإضافة إلى المشكلات العقلية والنفسية التي مر بها (انظر شاهين، 2019) ليُنهي حياته منتحرًا.

فحريٌّ بمن نزل عليه تمام الوحي أن يستثمره، ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾[27]، وقد قال مَن نزل عليه غير كتابنا -وكتابنا خير من كتابه- بأنه لو قد تمّ له تمام التنزيل لاتخذ يوم التمام يوم عيد بين الأنام، قال الإمام أحمد: حدثنا جعفر بن عون، حدثنا أبو العميس عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب قال: جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب فقال: يا أمير المؤمنين، إنكم تقرؤون آية في كتابكم **لو علينا معشر اليهود نزلت، لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا**. قال: وأي آية؟ قال: قوله: {**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي**}[28]؛ فقال عمر: والله إني لأعلم اليوم الذي نزلت على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، والساعة التي نزلت فيها على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: عشية عرفة في يوم جمعة"[29].

27- سورة المائدة. الآية 3.

28- المائدة. آية 3.

29- للمزيد يُنظَر في شرح سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز -يرحمه الله- للأثر على الرابط (آخر زيارة 2021/12/19م): https://cutt.us/z4q8E

المراجع

المراجع باللغة العربية:

ابن تيمية، تَقِيُّ الدِّينِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْحَلِيمِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ النُّمَيْرِيُّ الْحَرَّانِيُّ (661هـ - 728هـ / 1263م - 1328م). (2005). ***مجموع الفتاوى: كتاب المنطق، رقم 9***، جمع وعناية وتخريج عامر الجزّار وأنور الباز. نشر دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع. المنصورة: جمهورية مصر العربية.

ابن تيمية، تَقِيُّ الدِّينِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْحَلِيمِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ النُّمَيْرِيُّ الْحَرَّانِيُّ (661هـ - 728هـ / 1263م - 1328م). (1991). ***درء تعارض العقل والنقل***، أحد عشر مجلدا ومقدمة، تحقيق د. محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الرياض.

ابن رجب الحنبلي البغدادي. (2009). ***فضل علم السف على علم الخلف***. تحقيق وتعليق أبو القاسم عبد العظيم. المملكة العربية السعودية، الرياض: دار القبس للنشر والتوزيع.

ابن قيم الجوزية، مُحَمَّدٌ بْنُ أَبِي بَكرٍ بْنُ أَيُّوبَ بْنُ سَعْدٍ بْنُ حُرَيْزٍ الزُّرْعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (691هـ - 751هـ/1292م - 1350م) المعروف باسم «اِبْنِ قَيّمِ الجَوْزِيَّةِ» أو «اِبْنِ القَيّمِ». (1991). ***الطب النبوي***. تحقيق وتخريج وتعليق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان. ابن قيم الجوزية، مُحَمَّدٌ بْنُ أَبِي بَكرٍ بْنُ أَيُّوبَ بْنُ سَعْدٍ بْنُ حُرَيْزٍ الزُّرْعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (691هـ - 751هـ/1292م - 1350م) المعروف باسم «اِبْنِ قَيّمِ الجَوْزِيَّةِ» أو «اِبْنِ القَيّمِ». (1994). ***الروح***. تحقيق السيد الجميلي. دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

أحمد، عاطف. (1980). ***نقد العقل الوضعي: دراسة في الأزمة المنهجية فكر زكي نجيب محمود***. دار الطليعة.

الجابري، صلاح فليفل. (2012). ***الدين والأسطورة والعلم: مستويات مختلفة للفهم والتأويل***. فصل في ***فلسفة الدين: مقول المقدس بين الأيديولوجيا واليوتوبيا وسؤال التعددية***. الصفحات: 11-36. إشراف وتحرير: على عبود المحمداوي. الرابطة العربية الأكاديمية للفلسفة. منشورات ضفاف: بيروت، لبنان، ومنشورات الاختلاف: الجزائر العاصمة، الجزائر، ودار الأمان: الرباط.

الحمد، تركي. (1988). ***'الموضوعية والموضوعية المعاصرة ومنهجية علوم الاجتماع: بحث في جذور التبعية الايدولوجية'***. مركز البحوث، عمادة البحث العلمي، كلية العلوم الإدارية (كلية إدارة الاعمال حاليا)، جامعة الملك سعود.

الخولي، يمنى طريف. (2018). ***مشكلة العلوم الإنسانية: تقنياتها وإمكانية حلها*** (الطبعة الثامنة). نيو بوك للنشر والتوزيع، القاهرة، جمهورية مصر العربية.

الدعجاني، عبد الله بن نافع. (2020)، ***منهج ابن تيمية المعرفي***. مؤسسة دراسات تكوين للنشر والتوزيع: لندن، المملكة المتحدة.

العبادي، عبد الله. (1992). ***الفكر الاجتماعي وتطوره عند العرب والمسلمين***.

العديم، خالد بن رشيد. (2020). ***تبيان ونقد المنهج التجريبي في العلوم الاجتماعية (الإنسانية/السلوكية)***. مؤسَّسة عُلوم الأُمَّة للاستثمارات الثقافيَّة

العديم، خالد بن رشيد. (مقبول النشر 1). نهضةٌ قِوامُها الموروث. ***التجديد- الجامعة الماليزية العالمية***.

العديم، خالد بن رشيد. (مقبول للنشر 2). إضافة من ديانة الإسلام إلى نظرية البحث المعرفة) لجون ديوي في إمكانية الجمع بين المنهاج الاستنباطي والمنهاج الاستقرائي في بناء النظريات. ***المجلة السعودية للدراسات الفلسفية.***

الغريب، عبدالعزيز بن علي. (2021). التساند العلمي للعلوم الإنسانية في دراسة المشكلات الاجتماعية من منظور علم الاجتماع. *مجلة البحوث والدراسات الاجتماعية*، *1* (الأول).: 232-256.

الغذامي، عبد الله. (1997). ***الخطيئة والتكفير: من البنيوية الى التشريحية***. الطبعة الرابعة. الهيئة المصرية العامة للكتاب، جمهورية مصر العربية.

الموسوعة العربية العالمية، (1999). الطبعة الثانية. المجلد 17. الناشر: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع: الرياض المملكة العربية السعودية.

أمين، جلال، (2014). ***فلسفة علم الاقتصاد: بحث في التحيزات الاقتصاديين وفي الأسس غير العلمية في علم الاقتصاد.*** دار الشروق، بيروت، لبنان.

الفراك، أحمد. (2017). مساءلة مفهوم «العلمية» في العلوم الاجتماعية. ***مجلة الكلمة***، العدد 122، يونيو. متاح على الرابط: https://2u.pw/fMZ6SUr. آخر زيارة 2023/5/27.

المسيري، عبد الوهاب. (2010). ***الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان***. الطبعة الرابعة. دار الفكر، سوريا، دمشق.

حنفي، حسن. (1987). ***موقفنا الحضاري، في الفلسفة في الوطن العربي المعاصر: بحوث المؤتمر الفلسفي العربي الأول الذي نظمته الجامعة الأردنية***، مركز دراسات الوحدة العربية، الفصل الأول، الصفحات: 13-42.

فييرابند، بول. (1438هـ). ***طغيان العلم: ما العلم وما حدوده وأدواته***. ترجمة مركز دلائل، مراجعة وتعليق عبد الله الشهري. مركز دلائل: الرياض، المملكة العربية السعودية.

قنصوة، صلاح. (1981). ***فلسفة العلم***. دار الطباعة للنشر والتوزيع، جمهورية مصر العربية: القاهرة.

كشك، محمد جلال. (1990م). ***جهالات عصر التنوير***. مكتبة التراث الإسلامي.

ماضي، أحمد. (1987). ***الوضعية المحدثة والتحليل المنطقي في الفكر الفلسفي في الفكر الفلسفي المعاصر، الفلسفة في الوطن العربي المعاصر: بحوث المؤتمر الفلسفي العربي الأول الذي نظمته الجامعة الأردنية***، مركز دراسات الوحدة العربية، الفصل الأول، الصفحات: 171-202.

محمود، زكي نجيب. (1953). ***خرافة الميتافيزيقا***. مكتبة النهضة المصرية، جمهورية مصر العربية، القاهرة.

مصطفى، الزاهيد. (2016). العلوم الإنسانية ومشكلة الموضوعية: الإنسان عصي على الدراسة والتحكم بسلوكياته والتنبؤ بها. ***جريدة الشرق الأوسط***، الخميس - 15 جمادى الآخرة 1437 هـ - 24 مارس 2016 م، https://2u.pw/lvPYQX7

سلف للبحوث والدراسات. (2017). ***قصور المنهج التجريبي عن إدراك الحقائق***، مقال رقم 99، المشرف على المركز: د. محمد السعيدي، متاح على الرابط: https://salafcenter.org/1495 آخر زيارة 2023/5/27.

شابرا، محمد عمر. (1996). ***الإسلام والتحدي الإقتصادي***. المعهد العالمي للفكر الإسلامي. والمعهد العربي للدراست المالية والمصرفية، الولايات المتحدة الأمريكية، فريجنيا، ترجمة محمد سعيد النابلسي

شابرا، محمد عمر. (2012). ***الحضارة الإسلامية: أسباب الانحطاط والحاجة إلى الإصلاح***. المعهد العالمي للفكر الإسلامي. الولايات المتحدة الأمريكية، فريجنيا، ترجمة محمد زهير السمهوري.

شاهين، الهام. (2019). الفلسفة الوضعية عند كونت واسباب ظهورها. ***مجلة كلية الدراسات الإنسانية***، 36: 643- 712.

عبد الحافظ، شادي. (2019). ***حرب الدين والجينات... هل نظرية التطور بديل عن الخالق؟*** متاح على الرباط: https://2u.pw/urQ6xgP آخر زيارة 2023/3/27.

عساف، عبد المعطي محمد. (2012). حدود المعرفة الإنسانية ودور المنهج العقيدي. ***Journal of Baghdad College of Economic Sciences University***, (33).

علي، ماهر عبد القادر. (1993). ***خرافة الوضعية المنطقية***. دار المعرفة الجامعية، جمهورية مصر العربية، الإسكندرية.

فيرابند، بول. (1438هـ). ***طغيان العلم: ما العلم وما حدوده وأدواته***. ترجمة مركز دلائل، مراجعة وتعليق عبد الله الشهري. مركز دلائل: الرياض، المملكة العربية السعودية.

المراجع باللغة الإنجليزية:

Al-Adeem, K. R. (2018). Role of Quantitative Methods in Quantifying 'Reality' Objectively. *Journal of Quantitative Methods*, *2*(2), 1-6.

Barnet, R., & Cavanagh, J. (1996). Homogenization of global culture. In J. Mander, & E. Goldsmith (Eds.), The Case against the Global Economy and for a Turn toward The Local (pp. 71–77). San Francisco, CA: Sierra Club Books

Caldwell, B. (1994). *Beyond Positivism: Economic Methodology in the Twentieth Century*. (Revised Edition). Routledge: New York, NY .

Daston, L & Galison, P. (1992). Image of objectivity. *Representations* 40 (Special Issue: Seeing Science), 81-128.

Fraasse, B. C van. (1980). *The Scientific Image*. Clarendon Pres Oxford.

Feyerabend, P. (2010). *Against Method.* Verso, London, UK. New Edition Introduced by Ian Hacking (4th ed.). Verso, New York: United States

Feyerabend, P. (2018). *Science in a Free Society*. Verso Books. London, UK.

Gaukroger, S. (2012). *Objectivity: A very Short Introduction*, 316. Oxford: Oxford University Press.

Gillispie, C. C. (1960). *The Edge of Objectivity: An essay in The History of Scientific Ideas,* 52. Princeton, NJ: Princeton University Press.

Kerlinger, F. N. (1979). *Behavioral Research: A Conceptual Approach*. New York: Holt, Rinehart & Winston.

Morgan, Michael Hamilton.(2007). *Lost history: The enduring legacy of Muslim scientists, thinkers, and artists*. Washington D.C.: National Geographic Books.

Nemeth, I. (1978). Introduction.in Michael Bradley. *The Iceman Inheritance: Prehistoric Sources of Western Man's Racism. Sexism, and Aggression*. Warner Books

Novick, P. (1988). *That Noble Dream: The 'Objectivity Question and the American Historical Profession.* Cambridge: Cambridge University Press.

Shadish, W. R., Cook, T. D., and Campbell, D. T. (2002). *Experimental and Quasi-Experimental Designs for Generalized Causal Inference*. New York, NY: Wadsworth Cengage learning.

Sy. A. and Tinker, T. (2005) "Archival research and the lost worlds of accounting." *Accounting History.* 10(1):48-69.

Tinker, T. (2004). The enlightenment and its discontents: Antinomies of Christianity, Islam and the calculative sciences. *Accounting, Auditing & Accountability Journal,* 17(3): 442-475.

Yahya, H. (2001). *The Disasters Darwinism Brought to Humanity* (Vol. 3, p. 4). by: Al-Attique Publishers Inc. Canada. Translated by: Carl Rossini.